المنهج التربوي والإصلاحي في فكر الشيخ عبد القادر المجاوي

د. خير الدين شترة
جامعة المسيلة.

ملخص:

إن أكبر إرث فكري وحضاري خلفه الشيخ عبد القادر المجاوي للجزائر هو تلك الأجيال من التلاميذ وطلاب العلم الأحرار الذين تتلمذوا على يديه، فتخرّج عليهم هم أيضاً الكثير من العلماء والقضاة والمدرّسين ورجال الصحافة والشعراء والأدباء فشكّلوا بإسهاماتهم المتنوعة النواة الصلبة للنهضة الجزائرية الحديثة ولا يكاد ينازعه هذا الشرف في الجزائر ـ خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، والعقد الأول من القرن العشرين ـ إلاّ القليل من العلماء المدرّسين فيُعدّ بحق أبا النهضة العلمية في الجزائر، وهو ما أهّله لأن يتبوأ مكانة مرموقة، ويطلق عليه شيخ الجماعة في القطر الجزائري، كما ترك الشيخ المجاوي مؤلفات اختلفت نوعًا وكيفاً, ولكنها جميعها جاءت من وحي ما علّم للطلاب وما تدارس مع تلامذته وزملائه, تجاوزت هذه المؤلفات خمسة عشر عملاً.

إن المميز في الفكر التربوي والإصلاحي للشيخ المجاوي أنه فكر ذو طابع محلي جزائري في الأغلب، فهو نتاج العلاقات الثقافية الجزائرية الفرنسية، لذلك كان إنتاجه الثقافي إلا ما ندر يمتاز بشيء من المحلية وغلبة روح الترجمة عليه، كما أن أعماله لم تخرج عن ميداني التراث والقضايا الاجتماعية الراهنة، بالإضافة إلى ميدان الصحافة العربية كما أن الاتجاه التربوي والإصلاحي الذي سار عليه المجاوي هو اتجاه الولاء الظاهر لفرنسا، فهو لم يدعوا إلى حركة معارضة ولم يتزعم حزباً سياسياً انفصالياً، وإنما لجأ إلى الدعوة إلى العلم والمعرفة واليقظة وتقليد الأوروبيين وعلاج الأمراض الاجتماعية، كل ذلك في نطاق النظام القائم، مع التركيز على الخصائص المميزة للشعب الجزائري من الوجهة الحضارية.

Abstract:

Education system and reform in Sheikh Abd-el-Kader -el-Medjaoui's ideology

The most important ideological and civilizational heritage left by Cheikh Abd-el-Kader -el-Medjaoui for Algeria are these generations of knowledge students and disciples who in turn taught many scholars, judges and teachers, journalists, poets and

men of letter who constituted by their contributions to the contemporary a solid core in Algerian renaissance. Indeed, few are scholars teachers who had this honour during the last third of the 19th century and the first decade of the 20th century. In Algeria, He is called "Sheikh of the Djemaa" and is considered the father of the scientific renaissance in Algeria. Also, Sheikh Abd-el-Kader -el-Medjaoui left different kind of works more than fifteen works arising from his teachings to students and what he had discussed with his students and colleagues.

What has distinguished the ideology of Sheikh Abd-el-Kader -el-Medjaoui is that it is more often of Algerian local nature. Indeed, it is the fruit of French Algerian cultural relations. This is why the majority of his literary production is known to be local and translate spirit dominance. Also, his works focused on the field of heritage, current social affairs in addition to the Arabic journalistic field. In addition, the educational and reformist trend that Medjaoui attended is blatant for the France homage, not calling to an opposition movement and not chairing any pro-independence political party but has resorted to the Daaoua, knowledge, knowledge, vigilance, the imitation of the Europeans, the social within the existing system diseases treatment focusing on the characteristics of the Algerian from the civilizational perspective.

المقدمـــة:

عاشت الجزائر خلال فترة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين انحطاطاً فكرياً مهولاً فاستبدَّ بالنفوس جمود وخمول وخيّم عليها اليأس والقنوط، ولم يبق للأمل إلا بصيص من نور يُشِّعُ في أعماق بعض القلوب القوية المؤمنة، التي أذاقها الاستعمار الفرنسي البغيض ألواناً من الجوع والخوف والتعسف، فهاجر من هاجر من العلماء والأبطال، وبقي من لا يقدرون على ذلك يتجرَّعون الغَصَص ويتقلَّبُون على شوكِ القَتَاد، ويموتون موتاً بطيئاً في عنتٍ واضطهاد، وكل يوم في حسبانهم يساوي شهراً أو أكثر، وربما كان هؤلاء العلماء قادرين على الفرار بدينهم وحريتهم كما فعل الآخرون، ولكنهم فضَّلوا البقاء مع الشعب يُصيبهم ما يُصيبهُ، وفي ذلك راحة للضمير، وإيثارًا للعذاب أو الموت في أرض الوطن مع عامة الناس، غير أن حالة عبد القادر المجاوي فيها من ملامح الوطنية، وحب التضحية والدفاع عن الهوية والتعلُّق بالأرض والأجداد الكثير..فهو من القلائل الذين دخلوا إلى الجزائر من المنفى والمهجر في الوقت الذين كانت الناس بكل أطيافها تفرُّ من الجزائر إنقاذاً لدينها وعرضها طوعاً أو كرهاً، رغم أن المجاوي كان يعيش

بالمغرب في بحبوحة من رغد العيش تحت بيعة حاكم مسلم آمناً في سربه، يملك قوت يومه عالي شأنه ومقداره ...

إن النهضة الجزائرية لم تكن وليدة الصدفة، بل جاءت كمحطة لجهود علماء جزائريين ومثقفين، حاولوا إنقاذ المجتمع الجزائري من حالة التعفُّن والتخلُّف والجهل التي وصل إليها من جراء كثرة البدع والخرافات والانحرافات، ولقد تولى مهمة محاربة هذه البدع، وإحداث الانبعاث الثقافي في الجزائر الكولونيالية مجموعة كبيرة من المصلحين والعلماء والمثقفين، لعل من أبرزهم خلال الحقبة الزمنية الممتدة من بُعيْد الاحتلال الفرنسي للجزائر وإلى غاية اندلاع الحرب العالمية الأولى، حقبة ليست أحداثها بالتي تخفى على ذي بصيرة، هو الشيخ عبد القادر المجاوي. الذي يُعدُ من أكبر الشخصيات الجزائرية المؤثرة في تاريخ الجزائر العلمي والثقافي والإصلاحي وخصوصاً خلال هذه الفترة، حيث كان للشيخ فيها عظيم البلاء، أين ساهم بقوة في مشروع إحياء الأمة الجزائرية.

1. **المولد والنشأة العلمية:**

هو عبد القادر بن عبد اللّه بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن يس أبي حناش بن خمليش بن علي بن محمّد بن عبد الجليل المجّاوي الجليلي الحسني، **(الحفناوي(أ)، 1985م: ص456).** نسبةً إلى مجّاوة أو مشّاوة إحدى قبائل شمال المغرب الأقصى التي تقطن حول مدينة تازة، وهو في الأصل ينتمي إلى أسرة تلمسانية عريقة ساهمت في نشر العلم وممارسة القضاء، فقد تقلّد والده محمد بن عبد الكريم المجاوي منصب القضاء بهذه المدينة لمدة خمسة وعشرين عامًا. **(الصديق(م)، 2008م: ص40)** وأجمع الذين ترجموا للشيخ على أنّ ولادته كانت سنة (**1264هـ/1848م**)، بينما اختلفوا في تحديد مسقط رأسه إلى فريقين: فريقٌ يرى أنه ولد بتلمسان، ونجد على رأس هذا الفريق تلميذه محمود كحول الذي أورد ترجمة له في تقويم الجزائر لسنة (**1911م**) في أثناء حياته، وتبعه بعد ذلك من ترجم له نقلاً عنه، وسكت عن ذلك الحفناوي- إقرارًا- في ترجمته للشيخ التي جاءت في أعقاب ترجمته لوالده الشيخ الأعلم محمّد المجاوي، وكان ذلك في أثناء حياته أيضًا. وما يعضد هذه الرواية هي تلك القصيدة التي مدحه بها أحد تلامذته بحضوره، منها هذين البيتين **(الحفناوي(أ)، 1985م: ج2، ص455)**:

سموٌ باسمهِ سما سماءً بفجرِ محمدٍ شُكراً وحمداً
ويدعى نجلَ عبدِ الله فاعْجَبْ بمَنْ جادَتْ تلمسانُ وجودًا

وهنا تأكيد على أن مسقط رأسه كان بتلمسان بُعيد نهاية ثورة الأمير مباشرة أي عام (**1847**م)، ثم تلتها هجرة العائلة إلى المغرب، وسكوت الشيخ المجاوي بحضوره أثناء تلاوة هذه القصيدة زاد من رسوخ هذه الفرضية عند هذا الفريق، كما أيَّد هذه الفرضية أيضاً الأستاذ عمار هلال بقوله: «المجاوي عبد القادر(**1264**- **1332**)هـ- (**1848**-**1914**)م من أهم علماء الجزائر في المغرب ..ولد بتلمسان حيث تلقى جزءاً من تعليمه، ثم انتقل مع عائلته إلى المغرب فواصل تعليمه في طنجة وتطوان، وأكمله بالقرويين بفاس، ثم عاد إلى الجزائر ...» (**هلال(هـ)، 1995م: ص178- راجع: - دبوز(م)، 1976م: ص82- سعد الله(أ)، 2008م: ص163.**)، وأمّا الفريق الثاني فيرى أنّه ولد بطنجة في المغرب، وعلى رأس هذا الفريق الأستاذ عادل نويهض، الذي جاءت ترجمته للشيخ متأخرة عن ترجمة تلميذه كحول، وترجمة الحفناوي. وهذا لاعتبارات عديدة، منها:

أنّ عائلة المجّاوي كانت من الأسر التي هاجرت مرغمةً إلى المغرب، غداة سقوط تلمسان في أيدي قوات الاستعمار الفرنسي تحت قيادة المارشال بوجو بعد انسحاب الأمير عبد القادر والمقاومة منها سنة (**1258**هـ /**1842**م) لاسيما وأنّ هذه العائلة المشهورة كانت تساند – ثورة الأمير(**سعد الله(أ)، 2008م، ج4، ص487، ص.ص (503- 504)، وج5، ص529 وج8. ص9**)، فعلى هذا يكون المجّاوي ولد بطنجة حيث تقلّد والده القضاء، وبقي بها قاضيًا إلى أن وافته المنية بها. كما أورد الشيخ الحفناوي في ترجمته للشيخ محمد المجّاوي شهادة تلميذه المغربي الشيخ الفقيه أحمد بن حسّون قاضي "وازان" حول شيخه الذي درّسه بجامع القرويين وفيها: «أنّه وُليَ خطة القضاء بثغر طنجة، فخرج إليها من فاس في الربيع النبوي عام (**1262**هـ)، وبقي بها قاضيًا ومدرسًا وخطيبًا إلى أنْ أدركه المنون في ثالث وعشرين من رجب عام(**1267**هـ) (**الحفناوي(أ)، 1985م: ج2، ص454**). وبناءً على هذا يصبح من المستحيل ترجيح فرضية ولادته بتلمسان. ما يؤكد ذلك هو رواية ابن "العنتري محمّد الصالح" الذي جزم بالقول أن مسقط رأس الشيخ المجاوي كان بالمغرب، فكتب

على غلاف كتاب «الدُّرر النحوية على المنظومة الشبراوية» العبارة التالية: «كتاب الدُّرر النحوية على المنظومة الشبراوية تأليف الشيخ الحسيب النسيب عبد القادر المجّاوي.... الجليلي الحسني المغربي»، وهذه النسخة كتبت بعد سنتين من ظهور نسخة المؤلف الأولى؛ أي سنة **1298**هـ، وكان حينها لا يزال مقيمًا بقسنطينة، والظاهر أنّه لم يعترض على ذلك(**سعدودي(ح)، 2011م، ص2**).

نشأ الشيخ المجّاوي في بيت من بيوت العلم والشرف والدين، التي اشتهرت في تلمسان في القرن التاسع عشر ميلادي، وإنَّ الكثير من الملكات التي اتصف بها الشيخ المعلّم عبد القادر المجّاوي من فنون العلم المختلفة والأخلاق الحسنة والإخلاص ورثها عن عائلته ولاسيما والده الشيخ عبد اللّه بن محمد، فقيه تلمسان الكبير، وقاضيها لمدّة ربع قرن من الزمن، ورائد العلماء المدرّسين في عصره(**الحفناوي(أ)، 1985م: ج2، ص450، راجع: - مرتاض(م)، 2004م: ص- ص(313 - 322)**.)، كما كانت أم عبد القادر ذكية فاضلة صالحة، قوية الشخصية، «فورث عبد القادر المواهب العقلية الخَلقية والخُلقية من أبويه وأجداده؛ فكان على الذكاء الوقّاد والحافظة النادرة والنشاط وحب العلم ظهر ذلك فيه منذ طفولته، كما ظهر فيه صفاء النفس، وكرم الطبع والجرأة والإقدام» (**دبوز(م)، 2007م: ج1، ص- ص(85- 86)**.)، وبعد سقوط تلمسان، ومعسكر على يد المارشال بوجو سنة (**1842**م)، وانسحاب الأمير وجنوده منهما هاجر والده إلى المغرب الأقصى، فحلَّ بفاس العامرة (**سعد اللّه(أ)، 2008م: ج4، ص487**)، فاستقرّ بها مدرساً في جامع القرويين وتخرّج عليه علماء عارفون، منهم الشيخ قنون الشهير، والشيخ الحاج صالح الشاوي، والشيخ الحاج محمد بن عبد الواحد بن سودة (ت**1299**هـ)... وخلق كثير غيرهم(**الحفناوي(أ)، 1985م: ج2، ص453**)، ولعل سبب هجرته إلى المغرب هو أنه: « ضاق ذرعاً بالاستعمار الذي كان يضايق الأحرار، ورأى مفاسده تسري إلى الحواضر، فآثر أن يعيش في بلد إسلامي حر يتمتع فيه بالعزة وخدمة العلم، وينشأ ولده في بيئة عزيزة إسلامية لا تشوبها سموم الاستعمار» (**دبوز، 2007م: ج1، ص- ص(85- 86)- أنظر: الكتاني(ع)، 1347هـ: ج1.ص122**).

إذن نشأ مترجمنا نشأةً علمية، حيث بدأ في طلب العلم منذ صباه، شأنه شأن الصبيان المتميزين فألحقه أهله بأحد كتاتيب طنجة، وهو لم يبلغ بعد سن التمييز فحفظ القرآن الكريم وجوّده، ثمّ انتقل بعد ذلك إلى تيطوان فأخذ مبادئ العلوم على عالمها الشيخ مَفَضْل أفلال العَلْمِي، وعلى الشيخ أحمد النجار وعلى الشيخ الطيب اليعقوبي، ...الخ **(كحّول (م)، 1911م: ص105)** «وكان عبد القادر يحبُ العلم، ويُجِّلُ أساتذته، فأقبل على معهده في شغف واشتهر فيه بالذكاء الوقاد، والحافظة النادرة، والجد في التحصيل، فأعجب به أساتذته فقرَّبوه، وعلقوا به آمالهم»**(دبوز(م)، 2007م: ج1، ص87)**، ومما لا شك فيه أنّ رغبة المجّاوي القوية في الاستزادة من العلم بعد أن تيّسر له أخذ مبادئه عن علماء ومشايخ أجلّة اهتموا به وأولوه رعاية خاصّة - لاسيما وهو ابن الشيخ القاضي العالم- لما لمسوه فيه من مخايل الفطنة، والذكاء وعلو الهمة، كانت الدافع القوي الذي جعله يدق أبواب جامعة القرويين، حيث الأساتذة العلماء الذين يملأ صيتهم الآفاق ففتحت له هذه الجامعة الأبواب واحتضنه أساتذتها.

ومن جملة العلماء المدرّسين الذين تتلمذ على يديهم - وأغلبهم كان قد أخذ عن والده لمّا درّس بالقرويين- **(محمود كحّول التقويم الجزائري.(1911)، ص105)**: الشيخ محمَّد العَلَوي قاضي فاس، وصاحب التآليف النافعة، والعلامة محمّد قنون(كنون) (ت**1333**هـ/**1915**م) العالم الموسوعي، صاحب (حاشية على شرح الرهوني على خليل) في الفقه المالكي، و(مناهل الصفا في حلّ ألفاظ الشفا)، وغيرها، ودرس المجاوي في جامع القرويين الفقه وأصوله، والفرائض والتفسير، الحديث الشريف، واصطلاحه المنطق وعلوم البلاغة والتصوف ...بالإضافة إلى علم المنطق والحساب والفلك والتاريخ والأدب، وعن ذكائه ذكرت جريدة (الفاروق): «إن كل كتاب يقرأه لا يعيد قراءته» **(دبوز(م)، 2007م: ج1، ص 87)**.

وبعد أن أحسّ الشيخ المجّاوي بحاجة الجزائر إلى جهاده، وآنس من نفسه القدرة على التعليم، قفل راجعًا إلى الجزائر فدخلها بين سنتي (**1869**م) و(**1870**م)(**الصديق(م)، 2008م: ص41**)، ووقع اختياره على مدينة قسنطينة للإقامة والتدريس، وربما يعود سبب اختياره لها هو أنّه كان

على اتصال مع عائلة أبو طالب الغريسي (البوطالبي)، التي كانت ممّن هاجر إلى المغرب، وكان لها دور في القضاء، والتدريس بكلّ من قسنطينة والجزائر، فقد أورد الأستاذ "سعد الله" في (تاريخه الثقافي)(**سعد الله(أ)، 2008م: ج4، ص- ص(372- 373)**) أنّ الشيخ المجّاوي يكون قد أفاد بمصاهرة عائلة آل أبي طالب القريبة من عائلة الأمير عبد القادر حينما استقرّ في قسنطينة بعد عودته من الحج، إذْ لم يتعرّض نسبيًا للتضييق كغيره من العلماء والمصلحين على غرار تلميذه حمدان الونيسي(**سعد الله(أ)، 2008م: ج4، ص139**)، وعُيّن مدرّسًا في المدرسة الشرعية الفرنسية التي كان التدريس فيها حكرًا على أصحاب الولاء لفرنسا، والشيخ لم يكن من صنف العلماء الذين باعوا أمَّتهم بعَرضٍ من الدنيا قليل.

وقد يكون السبب من قبيل التوجيه القصري من طرف السلطات العسكرية للمستعمر، كما ذهب إلى ذلك الأستاذ "أبو القاسم سعد الله"، فقد نقلته السلطات الاستعمارية إلى قسنطينة، وكانت هذه هي سياستها في التعامل مع المصلحين، والعلماء، فهي تنقل أهل الغرب إلى الشرق والعكس، وأهل الشمال إلى الجنوب والعكس؛ حتّى لا يقع منهم كبير تأثير في المحيط الذي يعيشون فيه(**سعد الله(أ)، 2008م: ج3، ص131**). غير أن الشيخ "محمد علي دبوز" يذهب في تبرير اختياره لقسنطينة دون بقية الحواضر الجزائرية الأخرى خصوصاً منها مدينته الأصلية تلمسان إلى مذهب آخر كون: «قسنطينة كانت أكثر استعداداً لجهاده، فاختارها ميداناً للتربية والتعليم، وللوعظ والإرشاد لقد كانت في الوعي أحسن جهات الجزائر الشمالية فيها علماء صالحون كانوا يمسكون رمقها بدروسهم، ومنهم الشيخ العباسي(كان مدرساً في جامع الكتاني)..- الذي ومن المرجح أن يكون هو- من استقدمه إلى قسنطينة وحرَّضه على المجيء إليها ولعل أحرار قسنطينة هم الذين أوفدوا إليه من قدِمَ به إلى بلدهم»(**دبوز(م)، 2007م: ج1، ص96**).

وممّا لا شكّ فيه أنّ رحلة الحج التي سبقت استقراره في مدينة قسنطينة كانت نافعة له؛ فهو يكون قد التقى فيها بالعلماء والصالحين من الجزائريين المبعَدين والمهجّرين إلى المشرق العربي من العائلات المجاهدة الذين كانوا يحملون هموم أمّتهم التي تكالبت عليها قوى الشرّ

والظلام، فزاد إيمانه بها وبوجوب الجهاد لتحرير العقول التي يُراد تجهيلها تارةً ومسخها تارةً أخرى، بتشجيع البدع والضلالات التي لا تخدم إلاّ مصالح الاستعمار الفرنسي.

«لقد شاء اللّه عزّ وجلّ أن يكون منطلق جهاد هذا المعّلم والعالم الربّاني، ومنتهاه في المدينة نفسها، وكأنّها أحبته حيّاً وأحبته ميتاً، فلم تصبر على بعده عنها معلّما بالجزائر العاصمة، فلما عاد إليها محاضراً، أبت أن تتركه يعود من حيث أتى، فتشرّفت بجثمانه الطاهر كما تشرّف هو بجهاده الإصلاحي فيها لمدّة قاربت الثلاثة عقود من الزمن، تلكم هي علاقة الحب التي نشأت بين مدينة العلم والإصلاح، والصمود والتاريخ (قسنطينة)، وبين الشيخ المجاهد المصلح المجّاوي»(**المجاوي(ع)، 2011م: تح. سعدودي(ح)، ص2**). ذهب الأستاذان محمد علي دبوز ومحمد الصالح الصديق إلى أنّ الشيخ قضى إلى بارئه مسموماً(**الصديق(م)، 2008م: ج1، ص43، طالبي(ع)، 1997م: ج1، ص25**)، دُسّ له السم في القهوة، هو ومجموعة من الشيوخ، دعوا إلى ملتقى علمي بقسنطينة سنة (1332هـ- 1914م) (**ومنهم من أثبت 1913م كسنة لوفاته. أنظر: طالبي(ع)، 1997م:، ج1، ص 24، - بوعمران(ش) وآخرون، 1995م: ص420**)، فمات من جرَّائه يوم 6 أكتوبر(**بن قينة (ع): 1983م: ص12**) من تلك السنة، فقد ذكر الشيخ إبراهيم أطفيش أنه لما زار الشيخ المجاوي قسنطينة في نهاية عام (**1913**م) «وضع الاستعمار له ولثلاثة عشر من علماء الجزائر سمًا في قهوة فشربها وتوجع حتى مات»(**دبوز(م)، 2007م: ج1، ص 82**)وليس بإمكاننا أن نثبت هذه الرواية أو ننفيها، وإن كان هذا السلوك ليس غريبًا عن الاستعمار الذي تعامل مع العلماء الجزائريين المخلصين معاملة قاسية دفعت العديد منهم للهجرة نحو البلدان الإسلامية شرقًا وغربًا. ودفن بقسنطينة، وحضر جنازته جمع غفير من أعيان المدينة وعلمائها، وطلابها وأبّنه ورثاه كثير من زملاؤه، وتلاميذه، ومنهم الشيخ ابن باديس ـ رحمه اللّه ـ بخطب وقصائد شعرية وقد تحدثت جريدة الفاروق عن جنازته. (**الفاروق، 9 أكتوبر 1914م: ع81، الجزائر**).

2. **منهجه التربوي والإصلاحي من خلال نشاطه التدريسي:**

بدأ الشيخ المجّاوي نشاطه التعليمي والتدريسي بالعمل في مساجد قسنطينة وزواياها متطوعًا منذ سنة (**1870**م) وكان حلوله بهذه المدينة،

بمثابة نسمة الخير والبركة التي هبَّت من جهة الغرب عليها(**سعد الله(أ)، 2008م: ج3، ص128**) فبموت رعيل من المدرّسين الذين درّسوا لأزيد من نصف قرن كالمكي البوطالبي ومحمّد الشاذلي، ومصطفى بن جلول، وأحمد المبارك، ظنَّ الناس أنّ العلم وتعليمه خبَتْ جذوته(**سعد الله(أ)، 2008م: ج3، ص 127**). واستمرَّ تعليمه بها ثلاث سنوات(**كحوّل (م)، 1911م: ص105**)، درّس خلالها فنون العربية المختلفة من نحو وصرف وبلاغة، بالإضافة إلى تدريس علوم الشريعة، وطارت شهرته وملأت آفاق قسنطينة وما جاورها بفضل أسلوبه في التدريس، واقتداره على تقديم المادة العلمية المدروسة مبسّطة خالية من التعقيد، ولصدق لهجته وصفاء سريرته(**طالبي(ع)، 1997م: ص24**)، فأحبَّ التلاميذ وطلاب العلم الأحرار الذين كانوا يحضرون دروسه في مساجد قسنطينة طريقته وأسلوبه، فلا نعجب إذا علمنا أنّ الشيخ حمدان الونيسي، شيخ ابن باديس والإبراهيمي بعد ذلك، كان ممن يحضر دروسه خلال هذه الفترة(**سعد الله(أ)، 2008م: ج3، ص136**)، وهو يكاد يقاربه سنًا، فالأخذ عنه كما قال الشيخ الإبراهيمي: «مدعاةً للفخر والاستطالة وشموخ الأنف»(**الإبراهيمي(أ)، 1997م: ص368**).

ولمّا رأت السلطات الفرنسية نجاحه الباهر في التدريس، وإقبال طلاب العلم عليه، عيّنته مدرّساً في جامع سيدي الكتاني(**التي أسسها صالح باي في عام 1778**) ومدرسته ابتداءً من سنة (**1873**م)، وفي سنة (**1877**م) (**كحوّل (م)، 1911م:، ص105**) تمّت ترقيته، بتعيينه أستاذًا بمدرستها الشرعية(**سعد الله(أ)، 2008م: ج3، ص127**)، ولم ينشغل بالتدريس في هذه المدارس عن التدريس الحرّ في المساجد والخطابة فيها، فكأنّما خُلق ليكون مدرِّسًا، ولا غرو فهو ممن كان يرى أنّ النهضة لا تكون إلاّ بالتعلّم تعلّم العلم الصحيح، واستمر عطاؤه العلمي- تدريسًا وتأليفًا - فيها إلى غاية سنة (**1898**م). وانتشرت بسرعة شهرته العلمية في البلاد فأقبل على دروسه طلاب العلم من كل أرجاء الوطن. وكان من أبرز تلامذته عالمان سيكون لهما شأن علمي عظيم فيما بعد. فالأول هو حمدان الونيسي المدرس بالمسجد النبوي بعد هجرته إلى الحجاز، والثاني هو المولود بن الموهوب(**صاري(أ). 2004م: ص- ص(13- 14)**.).

وفي عام (1898م) يُنقل الشيخ المجّاوي إلى العاصمة(**كحّول (م)، 1911م: ص105**)، في إطار حركة ظاهرها الترقية وباطنها عزله عن الواقع الذي صارت له فيه شهرة؛ ولا شك أن الحكومة إنما عَيَّنته في هذه المدارس لتُقلل من نشاطه الديني والإصلاحي الذي أخذ يوقِظُ العقول ويفتحُ الأبصار، ويُوجه نحو الطريق القويم(**الصديق(م)، 2008م: ج1، ص41**)، ولم تُطلعنا أغلب مصادر ترجمته عن الفترة التي قضاها في الجزائر العاصمة قبل أنْ تفتح الثعالبية، اللهم إلاّ ما أورده الدكتور "عمار طالبي" من أنّ الشيخ المجّاوي عند حلوله بالعاصمة الجزائر انتسب إلى المدرسة العربية بشارع السفراء بباب الوادي، مدرساً لفنون العربية(**طالبي(ع)، 1997م: ج1، ص28**)، وهناك التقى بالشيخ المدرّس عبد الحليم بن سماية، ورُبَما اشتغل بالتدريس حرّا في مساجد العاصمة ومدارسها. وفي سنة (1908م) سُميَ إماماً خطيباً بجامع سيدي رمضان بالعاصمة وكان كعادته حيوياً ونشيطاً في محاربة البدع والخرافات، والدعوة إلى النهوض العلمي والديني والوطني(**الصديق(م)، 2008م: ج1، ص41**).

لقد تتلمذ للشيخ أجيال من التلاميذ وطلاب العلم الأحرار، فتخرّج عليه كثير من العلماء والقضاة والمدرّسين ورجال الصحافة والشعراء والأدباء، ولا يكاد ينازعه هذا الشرف في الجزائر ـ خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين ـ إلاّ القليل من العلماء المدرّسين، فيُعدّ بحق أبا النهضة العلمية في قسنطينة وفي الجزائر العاصمة، وهو ما أهّله لأن يتبوأ مكانة مرموقة، ويطلق عليه شيخ الجماعة في القطر الجزائري. والتتلمذ عند الشيخ المجاوي أخذ شكلين هما:

أ/ التتلمذ الحرّ: لا يمكن بحال من الأحوال الوقوف على كلّ من أخذ عن الشيخ سماعًا وأجازه؛ لأنّ مصادر الترجمة لم تسعفنا بذكرهم جميعاً، وإنْ ذكروا فلأنّهم صاروا أعلامًا مشهورين تقلّدوا مناصب الفتوى والتدريس والقضاء، ومنابر الصحافة، ونجد منهم ثلاثة: الشيخ حمدان الونيسي (1856م- ؟) الذي أخذ عنه سماعًا في مساجد قسنطينة الحرّة(**سعد الله(أ)، 2008م: ج3، ص130**)، ثم ما يلبث أن يصير زميلاً له في التدريس لأنّه يقاربه سنًا(**سعد الله(أ)، 2008م: ج3، ص131**)، والشيخ

محمود ابن كحول (ابن دالي) (**1872- 1936**م) الذي أخذ عن الشيخ المجّاوي سماعًا في مساجد قسنطينة(**سعد الله(أ)، 2008م: ج4. ص384**) وتخرّج عليه، وثالثهم هو ابن مرزوق (ولد سنة**1867**م): أخذ عن الشيخ سماعًا وأجازه، وابتدأ المجاوي نشاطه التدريسي سنة (**1894**م) في جامع سيدي الكتاني، وظلَّ فيه أكثر من ثلاثين سنة مدرّساً(**سعد الله(أ)، 2008م: ج3، ص142**).

ب/ التتلمذ النظامي: من أبرز المتخرجين على الشيخ في مدرستي قسنطينة والجزائر الشرعيتين، طوال مدة تدريسه بهما والتي فاقت الثلاثين سنة نجد على رأسهم: الشيخ مولود بن الموهوب (**1866- 1939**م) وهو من أكثر تلاميذ الشيخ شهرة، فهو فقيه ومفتي وخطيب وشاعر وناثر أخذ عنه في المدرسة الشرعية الفرنسية بقسنطينة ولما تخرّج منها صار زميلاً له في التدريس، وعاصر أحداثًا هامة في قسنطينة، فتأثر بها منها بروز بوادر حركة الإصلاح والنهضة الوطنية وساهم فيها بحظ وافر، وما منظوته المسماة (بمنظومة البدع)، التي وضع عليها شيخه المجّاوي شرحًا قيّمًا إلاّ دليل على ذلك (**صاري(أ). 2004م: ص 8**). وساهم بشكل لافت في تفعيل الحركة الأدبية بنشر المقالات في الجرائد والمجلاّت، فهو ممَّن أسس نادي صالح باي سنة (**1907**م)، وشرح بعض أعمال شيخه المجّاوي(**سعد الله(أ)، 1990م:ج2،ط2، ص- ص(193-196)**). أما ثاني طلبته المميزين فهو الشيخ أحمد الحبيباتي (ت بعد**1936**م)(**أبو عمران(ش) وآخرون،1995م: ص473، كحّول (م)، 1911م: ص105**) تخرّج عليه من المدرسة الكتانية إمامًا ومدرّسًا وهو من صلّى على رفيقه الشيخ كحول بقسنطينة لمّا اغتيل سنة (**1936**م). القاضي الشيخ أبو بكر بوطالب هو صهره وابن القاضي أحمد بن محمّد أبي طالب(ت**1307**هـ)، أخذ عنه العلم في مدرسة الجزائر الشرعية، ولزمه كثيراً بحكم المصاهرة، ولما تخرَّج وُليَّ قضاء الحنفية في الجزائر العاصمة وفي البليدة(**الحفناوي(أ)، 1985م: ج2، ص95**).

يُضاف إليهم: القاضي حمود الدرّاجي، وهو من أحفاد العالم الصالح عبد الله الدراجي، أخذ عن الشيخ في مدرسة الجزائر الشرعية (الثعالبية)، وكان من الفقهاء والقضاة على المذهب الحنفي(**الحفناوي(أ)، 1985م: ج2، ص245، وكحّول (م)، 1911م:**

ص105) والشيخ إبراهيم أطفيش (**1885- 1965**)م(**الصديق(م)، 2008م: ج1، ص38**) الذي أخذ عن الشيخ المجّاوي في الثعالبية، والشَّيخ أرزقي الشرفاوي الغبريني الأزهري (**1884/1944**م) (**بوعزيز(ي)، 1995م: ص.ص(313- 315)**.). والشيخ الحاج أحمد البوعوني (ت بعد **1939**م)(**الإبراهيمي(أ)، 1997م: ج1، ص368**) وابنه القاضي مصطفى المجّاوي (ت**1931**م)(**كحّول (م)، 1911م: ص105**) والشيخ عبد الكريم باش تارزي، الذي أخذ العلم عنه في مدرسة قسنطينة، وتخرّج منها قاضيًا وفقيهًا على المذهب الحنفي(**كحّول (م)، 1911م:ص105**). وسعيد بن زكري الذي أخذ عن الشيخ في الثعالبية، وتدرّج فيها إلى أنْ أصبح مديرها(**أبو عمران(ش) وآخرون، 1995م: ص.ص(417- 420)**.).

وبالنسبة لمنهجه في التدريس؛ فقد قدم الشيخ المجاوي نصائح مفيدة لطلبة العلم في كتابه (إرشاد المتعلمين) وليس للمعلمين. فهو يجيب عن السؤال: ماذا ندرس؟ ولا يجيب عن السؤال: كيف نُدرِّس؟ ومحاولته هي حصيلة لمجموعة العلوم التي يجب أن يتعلمها الإنسان وهو يشبه في ذلك كل العلماء المسلمين الذين درسوا هذا الموضوع فيما يمكن أن نسميه بعلم إحصاء العلوم. وهو متأثر كثيرًا بمنهج ابن خلدون في كتابه المعروف: (المقدمة).

ويُقسِّم الشيخ المجاوي العلوم إلى ثلاثة أنواع: علوم اللسان(**المجاوي(ع)، 2012م: ص.ص(33- 41)**) وعلوم الأديان(**المجاوي(ع)، 2012م: ص.ص(42- 45)**.)، وعلوم الأبدان(**المجاوي(ع)، 2012م: ص.ص(46- 49)**.)، ففي القسم الأول يُركِّز على تعلم اللغة. واللغة المقصودة هنا هي العربية. فهي في نظره « أقدم لغات العالم المستعملة الآن وأوسعها، وفضلها على غيرها يشهد به كل من يعرفها ولو كان أعجميًا، فهي أفصح اللغات منطقًا وبيانًا وأكثرها تصرفًا في أساليب الكلام وأقبلها تفننًا في النثر والنظام، وقد ملأها الله من الآداب والحكم فنالت من الأمثال القديمة والحديثة ما لم ينله غيرها، وهي في الشعر لا يشق لها غبار ولا يباريها مبار»(**المجاوي(ع)، 2012م: ص 33**). وتحدَّث في القسم الثاني عن علوم الأديان وهو يقصد بذلك العلوم الشرعية المتمثلة في علم التفسير، العقيدة وعلم الحديث، علم الفرائض، الفقه وأصوله، أما القسم الثالث فيتضمن عدة علوم تخدم في مجموعها صحة الإنسان، وهي

في نظره الطب، علم الطبيعة، التاريخ الطبيعي، علم الحيوانات، علم النباتات، علم الطبقات الأرضية، الكيمياء. ويرى الشيخ المجاوي أن علم الطب هو الأهم لأن كل العلوم «حتى علوم الدين لتوقف القيام بها عليه»(**المجاوي(ع)، 2012م: ص 47**).

كانت دروس الشيخ المجاوي تعالج كل هذه المسائل من علم التوحيد والتفسير وشرح الأحاديث النبوية. وقد حضر العالم الزيتوني الشيخ محمد الخضر حسين (**1873- 1958**)م درسه في شرح الحديث الشريف: (الدين النصيحة) خلال زيارته للجزائر في عام (**1904**م). وكانت طريقة الشيخ المجاوي دقيقة ومركزة تتناول الموضوع من كل جوانبه ولا يتعدَّاه إلى موضوع آخر، وقد أثار ذلك انتباه الشيخ الخضر حسين فأعجب به وأثنى عليه كثيرًا. واعترف كذلك أنه استلهم منه المنهجية والطريقة المثلى في التدريس، فقال في هذا السياق:«نستحسن من دروس هذا الشيخ اقتصاره في كل فن على تقرير مسائله التي يشملها موضوعه، وعدم خلط بعضها ببعض. وقد كنت – عفاكم الله – ممن أبتلي درسه باستجلاب المسائل المختلفة الفنون وأتوكأ في ذلك على أدنى مناسبة، حتى أفضى الأمر إلى أن لا أتجاوز في الدرس شطر بيت من ألفية ابن مالك – مثلاً- ثم أدركت أنها طريقة منحرفة المزاج عقيمة عن الإنتاج، ونرجو أن تكون توبتنا من سلوكها توبة نصوحًا»(**الخضر (ح). 2010م:. ج 11، ص 5460**).

3- منهجه التربوي والإصلاحي من خلال آثاره:

لم يؤلف الشيخ المجاوي الكتب - على الرغم من تمكنه من علوم مختلفة - إلاّ بعد أنْ مارسها تدريسًا عقدًا كاملاً من الزمن، في مساجد قسنطينة تدريسًا حرًا، ثمّ في مسجد الكتاني ومدرستها الشرعية لمّا عينته سلطة المحتلّ حينما ذاع صيته وطارت شهرته في قسنطينة، وما جاورها من المدن القريبة، وقد ترك لنا مؤلفات اختلفت نوعًا وكيفاً, ولكنها جميعها جاءت من وحي ما علّم للطلاب وما تدارس به مع تلامذته, تجاوزت هذه المؤلفات خمسة عشر عملاً(**ويبلغ عددها حسب الدكتور سعد الدين بن أبي شنب ثلاثة عشر كتابًا ورسالة، أنظر، - بن أبي شنب(س). 1968م: ص83**)، في اللغة والنحو, والبلاغة والدين وعلم الفلك، وكان الأسلوب الغالب في كتابات المجاوي خصوصاً في «اللمع في نظم البدع» وبعض شروحه الأخرى هو الأسلوب

العلمي، فهو عالم ومدرس أكثر منه أديب، ولاقت هذه المؤلفات قبولاً واسعًا لدى طلاب العلم، واستبشر الوطنيون وكتلة المحافظين بها خيرًا وبالمقابل أحدثت زلزالاً عنيفاً في صفوف العدو ومن يدور في فلكه وقد طبعت هذه المؤلفات جلُّها، ولا تزال بعض نسخ مخطوطاتها محفوظةً، وسنشير إليها في الحديث عن كلّ مؤلف منها، تنوَّعت مواضيعها بحسب فنون العلم التي كان يدرّسها وبحسب ما كانت تقتضيه ظروف الجزائر العامّة في ذلك الوقت، ومما يلاحظ أن جلَّ مؤلفات المجاوي (عدا إرشاد المتعلمين أين كان المجاوي في قسنطينة، مدرساً حراً)، قد ألَّفها في فترة بقائه في العاصمة رغم أنه أقام بقسنطينة قرابة ربع قرن، وسنستعرض بعضها بإيجاز:

إرشاد المتعلمين: (كحّول (م)، 1911م: ص105، وسعد الله(أ)، 2008م: ج7، ص196): هي أول عهده بالتأليف، وهي رسالة صغيرة في حجمها أحدثت ضجة كبرى عقب ظهورها في قسنطينة، ذكر الأستاذ سعد الله أنها طبعت في المطبعة الوهبية بالقاهرة، عام(1877م- 1294هـ)، «وهو كتيب صغير يقع في (30) صفحة»(**سعد الله(أ)، 1984م، ص 75**)، وربما تكون الرسالة قد طبعت بإيعاز ودعم من الأمير عبد القادر وأولاده، ولم يدخل هذا الكتاب إلى الجزائر باستثناء نسخ قليلة منه، ولا نظن أنه حظي بعد ذلك بتوزيع يشبه توزيع جريدة المبشر، وكان بإمكان المجاوي أن ينشر أفكاره في هذه الجريدة لو أراد، ولكنه فضَّل أن يدعو إلى العلم والأخذ بأسباب الحضارة بطريقة محايدة وغير مرتبطة بالتمدن الفرنسي كما فعل زملاؤه السابقون(**سعد الله(أ)، 2008م: ج6، ص220**)، وقرّظها كاتبان كبيران هما: حامد سليمان من الشام، والمقيم آنذاك بالقاهرة، ووهبي أفندي معلّم اللغة الفرنسية والرسالة دعوة لتعلّم العلم الصحيح، الديني منه والدنيوي، وتعلّم اللغات الحيّة وتقع في (30 صفحة) وجعلها في مقدّمة وأربعة فصول وخاتمة، وأما الفصول: الأول في علوم اللسان، والثاني في علوم الأديان، والثالث في علوم الأبدان، والرابع في المعاش. وخصَّص الخاتمة لأمثال وحكم وآداب عامة. وقد أشاد باللغة العربية في الفصل الأول وهو ما لم يكن يَسرُّ الفرنسيين على كل حال. كما أن الإشارة إلى شيوع الجهل بين السكان فيها دعوة إلى اليقظة من جهة وإدانة للإدارة الاستعمارية من جهة أخرى.

قدم له في الصفحة الأولى الكاتب السوري حامد سليمان بقوله:« قد اطلعت من هذا الكتاب على ألفاظ رقيقة ومعان رشيقة، وآداب فائقة، وحكم رائقة تدلُّ على ما لمؤلفه من البراعة العامة، وتشهد له بخلوص النية وحسن الطوية اللذيْن ألجآه إلى نصح المسلمين وإرشاد المتعلمين»(**المجاوي، إرشاد المتعلمين، ص1**) أما الفصل الأول في علوم اللسان بعد المقدمة من هذا الكتاب فإن المجاوي يبدأه بقوله: «إن اللغة العربية هي أقدم لغات العالم المستعملة الآن وأوسعها, وأفضلها على غيرها, يشهد به كل من يعرفها ولو كان أعجمياً, فهي أفصح اللغات منطقاً وبياناً وأكثرها تصرفاً في أساليب الكلام, وأقبلها تفنناً في النثر والنظم, قد ملأها الله من الآداب والحكم فنالت من الأمثال القديمة والحديثة ما لم ينله غيرها»(**المجاوي، إرشاد المتعلمين، ص3**)، وفي آخر الرسالة يكشف المجاوي عن علاقته ببعض علماء المشرق وشعرائه. فبالإضافة إلى التقريظين المذكورين، قال عن إبراهيم سراج المدني أنه صديقه وأخوه، وأنه قد تعرَّف عليه، دون أن نعرف أين وقع ذلك؟(**راجع: - سعد الله(أ)، 2008م: ج7، ص197**).

يُذكر أنه حين صدرت رسالته وباكورة أعماله: إرشاد المتعلّمين أحدثت ضجةً كبرى في قسنطينة، ما كانت لتهدأ لولا مكانة الشيخ الاجتماعية القوية التي كانت نتيجة مصاهرته لآل أبي طالب أبناء عمومة الأمير عبد القادر (**انظر: طالبي(ع)، 1997م:،ج1،ص21، - الصديق(م)، 2008م: ج1،ص- ص(41- 42)**.)، فقد هاجمته جريدة أسبوعية ناطقة بالعربية لأنها فهمت أنّه يرمي سلطة العدو بالتقصير في توفير التعليم للأهالي، وأنّ المشارقة أحسن حالاً من الجزائريين في هذا الجانب، ونصّبت نفسها منبرًا إعلاميًا لبعض الجزائريين الذين لا يحلو لهم العيشُ إلاَّ أذيالاً وتبعاً لفرنسا من التهجم على الشيخ، وعلى أفكاره التي دعا إليها في رسالته، وبالمقابل فقد خدمت هذه الضجة الإعلامية الشيخ وأفكاره الإصلاحية وحقَّقت له ولجميع الوطنيين ورواد الإصلاح ربّما ما لم يكونوا يحلمون به من صدى مشروعهم في المجتمع، ومن خلال هذه الرسالة القيمة دعا المجاوي إلى الإصلاح الاجتماعي بنقده للتقليد، كما دعا مواطنيه والمسلمين عامة إلى نبذ الركود وإلى اليقظة والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة، وقد كان كتابه موضع تعليق حتَّى

من بين الدوائر الرسمية في الجزائر، فقد نشرت جريدة المبشر بالعربية تعليقاً حول هذا الكتاب حلّلت أفكار مؤلفه وانتهت فيه إلى رأي ايجابي، وكان عنوان التعليق «كتاب مفيد»(**المبشر، عدد 1877/12/8**).

وقد دعا أيضاً إلى تحصيل العلم الأوروبي- الفرنسي، على أنه علم إنساني مشاع ما دام غير ديني.ولا ندري إن كان قد خصص اللغة الفرنسية بمزية في هذا الشأن، ولكن الرسالة في حد ذاتها كانت انطلاقة عامة، وهو لم ينشرها فصولاً في جريدة، وكأن المجاوي قد ألّف إرشاده للمتعلمين رداً على من كان يقول إن المؤلفين العرب والمسلمين لم يكتبوا عن كيفية وطرق تعليم الصبيان(**سعد الله(أ)، 2008م: ج6، ص331**)، يقول المجاوي في بعض صفحاتها: «أقول بعد البسملة...أن من أشرف ما تميَّز به الإنسان على سائر الحيوان النطق، ولا نطق إلا بالعلم، كما لا علم بدون معلم. ولقد ساءني ما رأيت في هذا الزمان من فتور المعلمين والمتعلمين حتى أن أهل قطرنا...قد تراكم عليهم الجهل» (**المجاوي(ع)، 2012م: ص2**).

ومن آثاره القيمة التي تكشف لنا بعض مقومات منهجه التربوي والإصلاحي كتاب **الإفادة لمن يطلب الاستفادة (2011م: تح. عبد الرحمن حمادو الكُتُبي، الجزائر، دار ابن حزم.)**، يضم مسائل فقهية وبلاغية في(**64**) صفحة مع غلبة العنصر الأول، يقول عنه مؤلفه أنه يشتمل على«رسوم ومسائل فقهية ونبذ من علم المعاني والبيان، والبديع» غير ذلك ثم يقدم له وللمناسبة فيقول: «لما برز الإذن بالامتحان وتعيَّن لاختبار الطلبة جماعة من الأعيان، عنَّ لي أن أجمع وثائق عرفية وبعض جمل منطقية ونحوية، فبادرت بعد الاستخارة إلى جمع ما أريد على الوجه الذي بيَّنتُ» (**المجاوي(ع)، 1939م: ص1**)، ومنها أيضاً: **كتاب شرح جمل الخونجي (كحّول (م)، 1911م: ص105)**: وهو مختصر في المنطق، قال عنه عادل نويهض: «اطلعت عليه مطبوعًا طبعة حجرية عن مخطوطة الشيخ الأصلية التي فرغ من تأليفها ونسخها في **29** رجب **1295هـ/1878م** وهي في (**09**) ورقات، ضمن مجموع تحت رقم (**650**)، بمصلحة الثقافة والتراث، بوزارة الشؤون الدينية بالجزائر، وخطها مغربي جميل»(**نويهض (ع)، 1980م: ص287**).

ومنها أيضاً: **(كَشْفُ اللِّثَامِ فِي شَرْحِ شَوَاهِدِ قَطْرِ ابْنِ هِشَامٍ) (كحّول (م)، 1911م: ص105)**: وهو كتاب في اللغة والنحو والبلاغة، طبع بقسنطينة وهو ثاني كتاب يؤلفه وعهد إلى ابن العنتري بكتابته، ابتداءً من الورقة الخامسة والعشرين، وانتهى منه كما جاء في نهاية المخطوط في شعبان من سنة **1295هـ/ 1878م**، وقد اطلعت على هذه المخطوطة الموجودة بالمركز الثقافي الإسلامي بالجزائر العاصمة، ولا تزال في حالة جيدة، وفي خطبة الكتاب شرح الشيخ بعضًا مما أُسيء فهمه من رسالته **(إرشاد المتعلّمين)**، ليزيح الشحناء والضغينة من صدور الذين استاءوا مما جاء فيه، وهذا دليل على سمو أخلاقه وعفة نفسه وتواضعه الجمّ، وهو كتاب نفيس فيه الأدب والنحو والبلاغة، عمد فيه إلى كلّ شواهد قطر ابن هشام الأنصاري ـ رحمه الله ـ الشعرية شرحًا لغريبها، وإعرابًا لأبياتها مع استطرادات بلاغية كلما اقتضى الموقف، كما أنّه جاء بنبذة عن بعض الأعلام الذين ذكروا فيها شيئاً من أخبارهم.

من آثاره اللغوية والأدبية: كتاب الدُّررُ النَّحوية على المنظومة الشَّبراويَّة: الذي انتهى من تأليفه في صفر من سنة **1296هـ/1879م**، وطبع بمطبعة فونتانة بالجزائر العاصمة سنة **1907م (أنظر: سركيس، (ب.ت): ج2، ص1290، كحّول (م)، 1911م: ص105، - سعد الله(أ)، 2008م: ج8، ص45)**. ووردت في مجلد واحد مع الشرح المسمَّى «نزهة الطرف»للمجاوي نفسه، فاستغرقت الدرر النحوية (57) صفحة، وكتاب **نزهة الطرف في المعاني والصرف** الذي شرح فيه متن البناني في الصرف(**كحّول (م)، 1911م: ص105**)، وعنوانها يُصرِّح بمضمونها مع غلبة الطابع النحوي والصرفي، احتلت (37) صفحة، وقد وردت في مجلد واحد مع الدُّرر النحوية(**1907م: مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر**)، طبعت في الجزائر العاصمة. وكان الفراغ من نسخها يوم **26** ربيع الثاني من سنة **1298هـ- 1881م**، على يد الناسخ عبد الله محمّد أمقران بقسنطينة، والكتاب كان وقفًا على المسجد العتيق بالبرواقية من ولاية المدية، والظاهر أنّ ابنه القاضي مصطفى المجاّوي هو من أوقفه على هذا المسجد حينما كان قاضيًا بهذه المدينة.

يضاف إلى كل ما سبق مؤلفات أخرى في شتى الفنون والعلوم منها: **نصيحة المريدين**، أو **نصيحة الإخوان(كحّول (م)، 1911م: ص105، -**

سركيس، (ب.ت):، ج2 ص- ص(1291و 1806)، سعد الله(أ)، 2008م: ج7، ص 146)، وهي رسالة توجيهية ألّفها بقسنطينة وطبعت بتونس سنة **1314**هـ، وهذا الكتاب شرح لقصيدة محمد المنزلي التونسي القادري في التصوف؛ وقد رأينا له إجازات لمقدمين جزائريين في هذه الطريقة، ولم يكن المجاوي معروفاً بممارسة التصوف السائد آنذاك بل كان من العلماء المدرسين الذين ألّفوا في عدة علوم منها المنطق والفلك والنحو، والقصيدة المذكورة وشرحها في آداب المريدين. ونحن نفهم من ذلك أن المجاوي قد يكون له هوى في القادرية، وربّما كتبه ـ كما قال الدكتور سعد الله ـ من أجل أصهاره (عائلة الأمير عبد القادر) القادريِّين(**سعد الله(أ)، 2008م: ج7، ص146**). كما ألّف المجاوي بقسنطينة **شرح منظومة ابن غازي في التوقيت (كحّول (م)، 1911م: ص105)**. و**الدُّرَر البهية على اللامية المجرادية (كحّول (م)، 1911م: ص105)**: التي نشرها بعنابة سنة **1894**م، أما المنظومة نفسها فهي لأبي عبد الله محمد بن محمد بن مجراد، وورد الشرح ضمن إطار في الداخل بينما جاء المتن المشروح على الهامش. وتوجد منه نسخة حجرية مطبوعة بمطبعة (جوردان) بالجزائر، بمصلحة الثقافة والتراث بوزارة الشؤون الدينية تحت رقم **(464)**، ونسخة بمكتبة بون بألمانيا(**سركيس، (ب.ت): ج2، ص1291**)، وكان الفراغ من نسخه في عشية يوم عرفة عام **1320**هـ، ويقع في **(63)** صفحة، وقد ذكر الدكتور سعد الله في تاريخه الثقافي(**سعد الله(أ)، 2008م: ج7،ص 157**): أنّ هذه اللامية (في الجمل) اهتم بها العلماء والمدرسون في قسنطينة، وألّف فيها الشيخ ابن الفكون شرحاً، غير أنّه يرى أنّ الشيخ المجّاوي خيرٌ من انبرى لها شرحًا وتدريسًا لما له من فهم وخبرة في التدريس، فأفاد طلبة العلم وأثرى به المكتبة وبغيره من المؤلفات المختلفة،يضاف إلى ما سبق من آثاره رسالة أخرى سمَّاها: **الفريدة السنية في الأعمال الجيبية(كحّول (م)، 1911م: ص105، - سعد الله(أ)، 2008م: ج7، ص249)** وهي موجهة إلى التلاميذ طبعت على نفقة الإدارة الفرنسية بمطبعة فونتانة سنة (**1320**هـ /**1903**م)(**ذكر أبو القاسم سعد الله أنها طبعت سنة1904م/1321هـ- سعد الله(أ)، 2008م: ج7، ص279**)، وهي رسالة في **(85)** صفحة، جعلها في مقدّمة وعشرين باباً وخاتمة، وتطرَّق فيه إلى علم الحساب والميقات وتعديله وضمَّنها أراجيز

ليسهل حفظه. وربما كان الكتاب موجهاً إلى التلاميذ بتغطية من الحكومة، لأن المدارس الرسمية الثلاث كانت تدرس هذا العلم، وقد تحدّث في (الفريدة) عن الارتفاع أو بعد الشمس عن أفق البلد المعني، وعن ميلان الشمس وعرض البلد، وفي المقدمة التي وضعها المجاوي للفريدة لخّص خطته وهدفه فقال: «وبعد؛ فهذه رسالة صغيرة الحجم، وعجالة مختصرة كثيرة العلم، في كيفية العمل بالربع المجيب في الأوقات، مشتملة على مقدمة وعشرين باباً وخاتمة فيما يتعلق بالتعديل والميقات»، وفي المقدمة أيضاً تحدَّث المجاوي عن الأرض ودوائرها ومحيطها وأقاليمها وخطوطها، ويبدو في هذا متأثراً بالمسلمين القدماء ذو الاهتمام أمثال: الإدريسي وابن حمادوش، وقد نقل عن علماء اشتهروا بعلم الفلك مثل مؤلف كتاب (سعود المطالع) وكتاب (تقويم البلدان) لأبي الفداء (**سعد الله(أ)، 2008م: ج7، ص282**).

كما ألّف المجاوي كتاب بعنوان: **الاقتصاد السياسي(كحّول (م)، 1911م: ص105)** ولعلّه: **المرصاد في مسائل الاقتصاد**: وهو في علم الاقتصاد. وقد طبع بمطبعة فونتانة، ويبدو أنه حاول التفاعل فيها مع الدراسات الحديثة(**بن قينة (ع): 1983م: ص15**). ورغم صغر حجم الكتاب فهو في غاية الأهمية من حيث المضمون والظرف الذي طبع فيه. ذلك أنه «جعله مثلاً يُقتدى به وبحرفية عالية كانت تجمع بين الاختصار والدقة والكفاءة ووضوح الرأي والتي كانت تعكس فكر المعلم المتعطش للمثالية ومتطلبات الفكر العلمي» (**صاري(أ). 2004م: ص 42**)، و**منظومة في التوحيد**: وضع لها شرحًا تلميذه ابن الموهوب، ولا يُعلم هل طبع أمْ لا؟ وهل هي أساس كتابه: القواعد الكلامية، أم لا؟ كما أنَّ شرح تلميذه غير معروف(**سعد الله(أ)، 2008م: ج7، ص154**)، و**تحفة الأخبار في الجبر والاختيار(كحّول (م)، 1911م: ص105، - سعد الله(أ)، 2008م: ج7، ص154**): هي رسالة في مسائل الكسب والاختيار طبعت في مطبعة فونتانة بالجزائر عام **1329هـ- 1904م**، قدَّم له مؤلفه بتمهيد استخدم فيه السجع، تلته مقدمة ففصل عن أهل «الجبر» ثم آخر في «قول أهل القدر»، وفصل ثالث عن«ما هو الحق وهو مذهب السنة»وهو أطول الفصول الستة وأغناها بالأفكار. وقد ألفه لكي يردّ على الشبهات التي كان يلقي بها المستشرقون في عقول طلاّب المدارس العليا.

والقواعد الكلامية (كحّول (م)، 1911م: ص105، سعد الله(أ)، 2008م: ج7، ص153): هذا الكتاب من أكثر كتبه غزارة وأهمية، ولعلّه آخر ما صدر له قُبيل وفاته، إذ طبع آخر سنة (**1911**م- **1329**هـ)، طبعة فونتانة بالجزائر، وهو في(**157**) صفحة، وقد قرَّظه تلميذه ابن الموهوب تقريظاً قصيراً لكن في عبارات أدبية وافية، وهي أيضاً عبارات تقليدية في صيغتها يمكن أن تلصق بأي كتاب فلا ينفر منها ولا تظهر غريبة فيه، وبعد أن نوّه الشيخ كحول بالمجاوي قال عن الكتاب: «تابعت النظر في أبوابه السنية وفصوله البهية، ووجدته في هذا الفن الطريقة والمثلى التي تقرب شوارده للأذهان، وتزيل ما على غوامضه من الحجب والأستار، وتُدني فوائده لكل عاكف عليه»، ثم ذكر أن الكتاب ظهر في وقت اشتدت فيه الحاجة إليه، فهو سهل العبارة وأسلوبه مما يفهمه الصغار والكبار، «مع بساطة في البيان وجزالة التبيان»(**المجاوي(ع)، 2011م: ص ص(146- 147)، نقلاً عن: سعد سعد الله(أ)، 2008م: ج8، ص99)**، وهكذا يكون هذا التقريظ قد صيغ في شكل الإعلان عن الكتاب، وهو موجّه إلى طلبة القسم العالي بالمدرسة الثعالبية، تطرَّق فيه إلى علم التوحيد بأسلوب علمي سهل ميسر، بهدف تصحيح العقيدة بالدليل، وقد جعله في مقدّمة وعشرة فصول وخاتمة. يقول مؤلفه في تقديمه:«مست الحاجة إلى تأليف رسالة في علم التوحيد تكون سهلة المأخذ، قليلة الكلفة»(**المجاوي، القواعد الكلامية، ص3**)، ثم قسَّم كتابه إلى مقدمة ومبادئ متحدثاً عن علم التوحيد (موضوعه، وواضعه ومسائله)، تلا ذلك تسعة مباحث متبوعة بفصول أدرجت تحت عنوان «مطالب» مختلفة، فكان جهد المؤلف جلياً في بحثه وحرصه شديداً على الإفادة بأيسر السبل وأكثرها اقتصاداً، فقد التزم في هذا الكتاب بعرض كل مسائل العقيدة، كالتوحيد والجبر والاختيار، بصورة علميّة، تستند على الدليل العقلي وترد على الشبهات المختلفة التي كان يثيرها المستشرقون والملاحدة آنذاك (**طالبي(ع)، 1997م: ج1، ص22. - سعد الله(أ)، 2008م: ج7، ص153**).

وكتاب اللمع في نظم البدع وهو شرح لمنظومة تلميذه "ابن الموهوب" المصنفة في البدع، وهي منظومة أخلاقية إصلاحية، طبعت سنة (**1912**م)، طبعة فونتانة الشرقية بالجزائر، وسمَّاها المجاوي بـ«المنصفة»،

وتقع في (198) صفحة، وقرَّظه تلميذه "محمود كحول"، و"أحمد بن الشيخ" باش عدل بمحكمة سيدي عقبة، ونفس القصيدة قد شطرها "إبراهيم بن عامر(العوامر)السوفي" ونشر التشطير في جريدة (الفاروق)، وسمى التشطير (مطالع السعود في تشطير أدبية الشيخ مولود) (**الفاروق، 1914م: ع50، الجزائر**)، ومن ذلك يظهر أن "ابن الموهوب" هو الذي انطلق في دعوته الإصلاحية بصوت قوي منذ مطلع القرن العشرين، ووجد من يدعمه في دعوته سواءً في العاصمة أو حتى في الواحات البعيدة مثل وادي سوف(**سعد الله(أ)، 2008م: ج7، ص173**).

وإقدام الشيخ المجاوي على شرح منظومة تلميذه سابقة في تاريخ الأدب العربي لأن المتعارف عليه هو أن الطالب هو من يشرح أقوال وكتابات أستاذه وليس العكس، وهذا ما دفع الشيخ حمزة بوكوشة إلى القول: «وهو في شرحه هذا النظم الذي نظمه تلميذه الشيخ المولود بن الموهوب، يخالف ما تعارف عليه الناس في عصر المتون والشروح، من أن التلميذ هو الذي يشرح كلام شيخه، وهذا إن دلَّنا على شيء فهو يدلنا على تواضع المجاوي.» (**بوكوشة(ح). 1972م: ص 12**)، والكتاب امتداد لمنهجه الإصلاحي، المعتمد في أول ما صدر له؛ رسالته (إرشاد المتعلّمين)(**كحّول (م)، 1911م: ص105، سعد الله(أ)، 2008م: ج8، ص259**)، وقد رأى الأستاذ حمزة بوكوشة أن ذلك دلالة على تواضع المجاوي، كما كان «وسيلة من الوسائل التي اتخذها المجاوي لمقاومة البدع والضلالات، والأباطيل والخرافات التي كانت سائدة في تلك الحقبة ويعتقدها بعض الناس أنها من الدين» (**بوكوشة(ح). 1972م: ص 22**)، وفيه دعا الشيخ مبكرًا إلى وجوب دراسة علم الأخلاق وعلم النفس والنظريات المعرفية (**الصديق(م)، 2008م: ج1، ص- ص(41- 42)، طالبي(ع)، 1997م: ج1،ص- ص(21- 22- 23).**) لأنّها مفيدة في إعداد البرامج التعليمية الناجحة، وما هذا إلاّ لسعة اطلاعه على تراثنا المعرفي العظيم، لاسيما ما جاء به ابن خلدون في نظرية المعرفة، وأبو حامد الغزّالي قبله والفارابي وابن عربي في كتبهم المعرفية، عن النفس وعلمها وغيرهم كثير.

بالإضافة إلى كل ما سبق فقد ألَّف الشيخ المجاوي (**منظومة في الفلك**): وهي مخطوطة ذكر الأستاذ بن قينة أنه استعارها من مكتبة

مسجد البرواقية ثم أعادها سنة **1975**م. وذكر أنها ربما تكون آخر ما كتبه المجاوي(**بن قينة (ع): 1993م: ص75**)، وتقع في **86** بيتاً، يستهلها تقليدياً بقوله:

يَقُولُ عَبْدُ القَادِرِ المجَاوي مُعْتَرِفاً بِالذَّنْبِ وَالمسَاوي

كما كتب الشيخ المجاوي في بعض الصحف العربية الجزائرية: كجريدة "المغرب" (**1903- 1904**)م «**08** مقالات» وكانت عناوينها (مقال مشاهير العرب الذين تضرب بهم الأمثال:من ع**1** إلى ع**5** أفريل **1903**م)- والمعاش ع**6**- **28** أفريل **1903**م وع**8** - **5**ماي**1903**م- ومقال العلم: ع**12** - **19** ماي **1903**م- ومقال الافتخار بالنفس والنسب: ع**9**- **8**ماي **1903**م_ ومقال طب العرب قبل الإسلام وبعده: ع**17**- **5**جوان **190**"م- ومقال العادة: ع**19**- **12**جوان**1903**م- ومقال الحلم: ع**31**- **24** جويلية **1903**م)، كما نشر في جريدة"كوكب إفريقيا"خلال الفترة (**1908- 1909**)م.«**05** مقالات» وكانت عناوينها (مقال التربية: ع**31**- **3**جانفي**1908**م- ومقال: نظرة في الأخلاق نشر على أربعة أعداد: ع**84**- **11**ديسمبر**1908**م- وع**86**- **25**ديسمبر**1906**م- ع**97**- **12** مارس**1909**م- ع**132**- **12**نوفمبر**1909**م) بالإضافة إلى مقالات عديدة ومتنوعة نشرها بجريدة "المبشر"(**دبوز(م)، 2007م: ج1، ص104**) لا يتسع المقام لذكرها، وكان الشيخ لذكائه قد تعلم الفرنسية كما ذكر ذلك الشيخ محمد علي دبوز «فصار يتكلم بها مع الفرنسيين، ويناقش علمائهم فيُفحمهم بواسع علمه وقوة حجته، وقد ألَّف بالعربية ألفية في الكلمات الجارية من الفرنسية على الألسن، منها هذا البيت الذي يدلُّ على اقتدار الشيخ على النَظم، وعلى روحه الفكهة وميله إلى الدعابة قال: وإن تُحيِّي في الصباح قل: (بونجورْ) ولفظة الدوام عندهم (تُجُورْ) وللطريق (اشْمَا) وللحديد (فْـيِر) (**دبوز(م)، 2007م: ج1، ص104**).

4- الجهود الإصلاحية والتربوية للشيخ المجاوي:

لم يكن الشيخ المجّاوي مجرّد عالم مدرّس فحسب، بل كان صاحب مشروع إصلاحي، قائم على وعي كامل بالواقع الذي يعيش فيه هو وأمته، فهو ما إن استقرّ في قسنطينة بعد عودته محمّلاً بالعلم الشرعي، وعلوم الآلة وثقافة ووعي كبيرين بدوره في بعث الحياة من جديد فيها، وبعد رحلة الحجّ المفيدة التي زادته وعيًا إلى وعيه وإيمانًا إلى

إيمانه بوجوب تنسيق الجهود الإصلاحية، مع كلّ من يعمل في هذا المنحى بإخلاص حتى لا يذهب جهادهم وجهودهم في مهب الريح، والعدو لهذه الأمة أهدافه واحدة وإنْ اختلفت صوره وأشكال مخططاته.

أ/ التعليم والتربية: وأول محور بدأ العمل فيه هو إشاعة العلم بين أفراد المجتمع، الذي بدأت تظهر فيه آثار السياسة الفرنسية، التي تقضي بتجميد التعليم المسجدي الذي كانت له مؤسساته المنظمة (**العنتري(م، 1974م: ص35، سعد الله(أ)، 2008م: ج3، ص 126**) التي تناقصت بشكل رهيب بعد فترة قصيرة، ممّا يُوحي بإحكام مخططات العدو التي لم تكن عشوائية كما يعتقد الكثير من الناس، فأشاع العلم بدروسه الحرّة عبر مساجد قسنطينة الباقية، وفي المدارس التي كان يدرّس فيها ثم بالمدرسة الكتانية ومدرستها الشرعية وفي الثّعالبية لَمَّا نقل إلى العاصمة. ومن أهم القضايا التي نالت القسط الأوفر من اهتمامات الشيخ عبد القادر المجاوي هي التربية، فلقد برزت شخصيته كمربي في هذا المجال، فحاول أن يُعطي منهجًا للتربية يقوم على أسس علمية حديثة حيث خصَص جزءاً كبيراً من اهتماماته للمربي، باعتباره طرفًا في العملية التربوية، واهتم أيضًا إلى جانب كل هذا بالناحية الاقتصادية وحثَّ الجزائريين على تقليد الغربيين فيما توصلوا إليه في العلوم الحديثة.

ودعا الشيخ إلى العلم النافع دعوة قوية صريحة ولا فرق بين الديني منه والدنيوي الذي لا تستقيم الحياة إلاّ به كما دعا إلى وجوب تعلّم اللغات الحية(**المجاوي(ع)، 2012م: ص3**)، كونها أداة للاطلاع على المعارف والخبرات الإنسانية المختلفة، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها. كما طالب من المدرّسين حسن اختيار المناهج(**طالبي(ع)، 1997م: ج1، ص22**)، التي تؤتي ثمارها، وأن يجددوا فيها فالمجتمع دائم الحركة وما كان صالحاً منها بالأمس، قد لا يصلح اليوم، ولم يكن الشيخ ممن تستهويه الخطب العصماء، واعتلاء المنابر في كلّ نادٍ، دون أن يكون رائدًا وسبّاقًا إلى الامتثال إلى ما يدعو إليه أولاً، فهو كان ممارسًا للتدريس ومؤلفاً لمادة العلم الذي يدرّسه وفق المنهج الذي يراه مناسبًا لمستوى التلاميذ وطلاب العلم فكثر الإقبال على دروسه وعظم الأخذ عنه، وتنوَّعت مؤلفاته في فنون العلم المختلفة فأثرى المكتبة بها،

وصار بحق شيخ الجماعة في كامل الجزائر(**أطلقه عليه الشيخ بيرم التونسي. الصديق(م)، 2008م: ج1، ص(32)**)، وعلاّمة القطر(**أطلقته عليه: مجلة الشهاب. مارس 1932م: الجزائر، ج3، مج8، ص.149**)، وصار الأخذ عنه مدعاةً للفخر، والتطاول(**قول الشيخ البشير الإبراهيمي في الشيخ البوعوني الذي كان يحضر دروس الشيخ ابن باديس، وكان قد أخذ عن الشيخ المجّاوي. راجع: الإبراهيمي(أ)، 1997م: ج1، ص368**).

ب/ المرأة: كما اهتم الشيخ بالمرأة، وبتعليمها التعليم الصحيح النافع(**طالبي(ع)، 1997م: ج1 ص21**)، فهي أساس المجتمع ومنطلق التغيير الاجتماعي، ذلك أنّها المهد الأول لتربية الأبناء وتعليمهم، وعليه فهي مع المجتمع في علاقة مطّردة وما ضاع مجتمع إلاّ بإهمال المرأة تعليمًا.

ج/ الإلحاد والاستشراق: وكان هو ومن معه من أساتذة في المدرسة الثعالبية من أمثال الشيخ عبد الحليم بن سماية، وابن أبي شنب، بحكم تحكمهم في علوم العصر من علم اجتماع، وفلسفة، ومنطق مع إجادتهم للغة الفرنسية، كانوا يقفون سداً منيعاً في وجه الأساتذة المستشرقين(**الصديق(م)، 2008م: ج1 ص41، طالبي(ع)، 1997م: ج،1، ص21**)، الذين كانوا يبثون في عقول طلاب المدرسة المغالطات، وهذه المدرسة، كغيرها من المدارس العليا غرضها واضح، هو تخريج جيل من المتعلّمين تعليما عاليا، لا يخدم إلاّ مصالح فرنسا وأعوانها.

د/ البدع والطرقية: وأمّا العامّة فقد خصّهم في دروسه المسجدية التي كان يعقدها في كثير من مساجد قسنطينة والعاصمة، لتعليمهم أمور دينهم، وكان يولي العقيدة اهتماما خاصًا، يصححها في عقولهم، ويربطها بالمعين الصافي، كما فهمه سلف هذه الأمّة، ويحارب البدع التي ألصقت بالدين جهلاً وتشجيعًا من العدو الغاصب وأتباعه من الطرقيين، الذين كانوا يبثون في الناس أنّ الاستعمار قضاء يجب التسليم به فقعدوا عن الجهاد إلاّ قليلاً، فتمكن العدو من تحقيق الكثير من أهدافه التي جاء من أجلها، ومما يجب التنبيه عليه أنّ الشيخ لم يكن يصنف الطرق الصوفية في خانة واحدة، بل كان منصفاً في حكمه عليها، فالطرق التي استغلت جهل المريدين والناس بأمور دينهم لتمكين العدو الغاصب من أجل عرض زائل ناصبها العداء وكشف زيف أفعالها، أما الطرق الراشدة التي اشتغلت بنشر العلم والتربية الروحية، وكانت ملاذًا وقلاعًا

للجهاد والمرابطة، فقد أقبل عليها وساندها (**سعد الله(أ)، 2008م: ج7، ص146، - طالبي(ع)، 1997م: ج،1، ص21**).

هـ/ الدعوة إلى التحرر: كان المجاوي يعرف أسباب نهوض وسقوط الأمم وتقدم العلوم في الأمة الإسلامية في عصورها الذهبية، فدعا قومه إلى النهضة العامة متأثراً ربما بالنهضة العربية – الإسلامية في المشرق على يد الأفغاني وخير الدين التونسي ثم إن المجاوي كان قد عاش في المغرب الأقصى وتلقى علومه هناك، فكان تأثره الأول تأثراً إسلامياً عربياً لا فرنسياً، وقد جاء إلى قسنطينة مدرساً حراً، ثم أصبح أستاذاً في مدرستها الشرعية- الفرنسية، وكانت أفكاره في الكتيب المذكور تُلقىَ على تلاميذه أيضاً، وقد كان من بينهم من كان يتجسس على أقواله وأفعاله، ولم يسلم من دعوته للنهضة والتقدم، من هجوم الصحافة الاستعمارية على أفكاره لأنها ليست كأفكار الشيخ محمود كحول ولا مصطفى بن السادات النابعة من المحيط الفرنسي، وصدى لما تنشره (المبشر) وإدارة الشؤون الأهلية والمكاتب العربية.

ولم يكن المجاوي مسلوب الفكر أو منبهراً بالمدنية الفرنسية كبعض زملاؤه بل كان معتزاً بماضيه وحضارته، ولم يكن حسب علمنا قد زار فرنساً، ولكنه رأى أن من سنن الله والتاريخ والحياة التداول على العلم والحكم والقوة، فدعا قومه إلى أن يعرفوا مكانتهم بين الشعوب. ومن ثمة جاء النقد الشديد من غلاة المستعمرين بعد اطلاعهم على كتيبه (إرشاد المتعلمين)، حتى اعتبروه أجنبيًا عن الجزائر(**سعد الله(أ)، 2008م: ج6، ص ص(220- 221)**) فقد كانت دروس المجاوي وأمثاله تكوِّن جيلاً سيقف بالمرصاد ضد موجة التفرنس التي انطلقت مع فاتح القرن، وسيكون أصحاب هذه الموجة هم: بلقاسم بن التهامي، علي بوضربة، وإسماعيل حامد، والطيب مرسلي وكان هؤلاء يسمون بالنخبة(elite)(**سعد الله(أ)، 2008م: ج6، ص223**)، كما استغل الشيخ خطب الجمعة أحسن استغلال، في مسجد الكتاني، وفي مسجد سيدي رمضان بقصبة الجزائر(**طالبي(ع)، 1997م: ج1، ص21**)، فكان يتخذ منها مناسبة لتحسيس الناس بواقعهم الذي آلوا إليه بسبب الجهل والابتعاد عن دين الله والخمول واليأس الذي تسرَّب إلى نفوس كثير منهم في عدم جدوى القيام بأي فعل تحرري، ومهما كان شكله،

وذلك عقب فشل الكثير من المقاومات، ورأوا مصير المجاهدين من قتل ونفي وسلب لممتلكاتهم، وكان يثير فيهم الوعي بالمصير وبقضايا الأمة الكبيرة وبوجوب التحرّك الواعي وإنشاد الحرية كلّ بحسب ما هو مؤهلٌ له، ولولا خطورته على فرنسا ومصالحها ما دسّت له السمّ فمات به (**الصديق(م)، 2008م: ج،1، ص43**).

و/ الدعوة إلى التجديد والإصلاح: نبّه الشيخ على خطورة خطبة الجمعة، فدعا إلى إصلاحها(**طالبي(ع)، 1997م: ج،1، ص21**) بحسن اختيار الخطباء الأكْفاء الذين يحسنون وضع اليد على موضع الجرح، وتحسّس مواضع الألم من جسم الأمة المريض، ومن ثمّ حسن اختيار الوصفة التي يكون معها الشفاء من كلّ الأدواء وبمعرفة المجتمع حاجياته ومطالبه المختلفة للمساهمة في توجيهه الوجهة الصحيحة ليكون بنّاءً لا هدّامًا، كما دعا إلى الخروج بالفقه من دائرة العادات إلى الواقع ومتغيراته؛ لأنّ ذلك وإنْ كان مهمًا فهو ليس إلا جزءًا يسيرًا منه.

ز/ العمل الصحفي: ولم يغفل الشيخ أدوات التواصل والاتصال الحديثة التي تمكنه من السيطرة على أكبر شريحة من المجتمع الجزائري فيقع التأثير المنشود، فاستغل الصحافة بجرائدها،ومجلاّتها والنوادي الثقافية فساهم فيها بفاعلية كبيرة من أجل بث الوعي القومي، وتحسيس الناس بما آل إليه وضعهم الاجتماعي، من ظهور الآفات الناجمة عن الجهل والبطالة، حيث نبّه على خطورتها ودعا إلى وجوب التكفل بها، فقد اهتبل الفرصة عند ظهور أول جريدة في قسنطينة جريدة (المنتخب) سنة 1882م(**سعد الله(أ)، 2008م: ج5، ص234**)، هو وبعض أعيان المدينة من العلماء والمدرّسين فكتبوا فيها وأسمعوا آراءهم الإصلاحية، ولو أنّ هذه الجريدة لم تستمر إلاّ سنة واحدة. كما شارك في جريدة (كوكب إفريقيا) في الفترة ما بين (**1908- 1909**)م أما عن المواضيع التي عالجها في مقالاته، فلقد تنوَّعت مواضيعها الإصلاحية، فنجد له مقالات جاءت تنادي بالإصلاح في مجال العقيدة والعبادات، فدعا إلى محاربة البدع وحمل العلماء مسؤوليتهم في محاربة البدع عن طريق الإرشاد ونجده قد تحمل مسؤوليته كعالم في هذا الجانب.

ح/ النشاط السياسي والاجتماعي: لقد شارك الشيخ هو وجمع من أعيان مدينة قسنطينة من العلماء والمدرّسين والقضاة وكبار المالكين في

رفع عريضة تاريخية إلى الحاكم العام الظالم لويس تيرمان (L.Tirmane) (**1882**م- **1891**م)(**سعد الله(أ)، 2008م: ج3، ص131**) سنة (**1891**م)- (**سعد الله(أ)، 1990م: ج2، ص193**) تنوعت مطالبها بين الاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، منها احترام الدين الإسلامي واللغة العربية والقضاء، والتعليم الإسلاميين والعادات والتقاليد الوطنية، بعد صدور قانون الأهالي، وما تبعه من مصادرة الأملاك وإعطائها للمعمرين الجدد. وقالوا إن تجربة إجبارية التعليم قصيرة المدى، وإن أبنائهم كانوا يذهبون إلى المدارس الفرنسية (خلال الستينات)، بدون عقدة(**سعد الله(أ)، 2008م: ج6، ص332**)، أما في الجانب الاجتماعي فنجده كغيره من المصلحين حارب مختلف الأمراض الاجتماعية التي انتشرت وسط الجزائريين، فقد عالج عدة موضوعات من بينها آفة القمار الذي تنتهي بصاحبه إلى الهلاك المادي والأخلاقي ويظهر ذلك في قوله: «فلا تجد قمارًا لابسًا ثوبًا حسنًا، فضلاً عن غيره من الضروريات وقرنه الله تعالى بالخمر في التحريم لشدة جرمه ولأنه من الكبائر» (**كوكب إفريقيا، 3جانفي 1908م: ص3**).

ط/ هموم الأمة الإسلامية: لم يكن الشيخ ضيق الأفق، لا يفكر إلاّ في وطنه الصغير؛ بل كان يعيش هموم كل الأمة الإسلامية التي تشابهت وإن اختلفت أقطارها بحكم قرب قسنطينة من تونس والمشرق فالحركة السلفية الوهابية، والحركات الإصلاحية، التي كانت تسود المشرق كجمعية الخلدونية التونسية وجامعة الأزهر والقرويين والزيتونة والحجّ بوصفه مؤتمرًا عالميًا، والصحف التي كانت تدخل الجزائر كلها عوامل كان لها تأثيرها الإيجابي على الجزائر بوجه عام وقسنطينة بوجه خاصّ، من أجل نهضة تحررية شاملة، كما أنّ فكرة الجامعة الإسلامية التي بدأت تلوح للوجود مع نهاية القرن التاسع عشر وسعي زعماء الإصلاح والنهضة في هذا الإطار من أمثال الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده وجدت لها أنصاراً في الجزائر، تمثلوا في كتلة المصلحين والمحافظين وقد زار الشيخ محمد عبده الجزائر سنة (**1903**م)- (**طالبي(ع)، 1997م: ج1، ص25**) في هذا الاتجاه، ونزل عند الشيخ عبد الحليم بن سماية واجتمع مع كثير من العلماء والمصلحين الجزائريين، وعلى رأسهم الشيخ المجّاوي.

5- قراءة في النهج التربوي والتعليمي للشيخ المجاوي:

المميز في فكر الشيخ المجاوي أنه فكر ذو طابع محلي جزائري في الأغلب، فهو نتاج العلاقات الثقافية الجزائرية الفرنسية، لذلك كان إنتاجه الثقافي إلا ما ندر يمتاز بشيء من المحلية وغلبة روح الترجمة عليه. لعدة أسباب نذكر أهمها:

- أن مرحلة النشأة والتكوين العلمي في الأغلب كلها كانت في عهد الاحتلال. باستثناء الفترة التي قضاها في المغرب أو بالمشرق. فقد تكوَّن في المدارس القرآنية والمعاهد الدينية بالمغرب والجزائر..

- توليه وظائف في عهد الجمهورية الثالثة أي بعد السبعينات ومعاصرته لتشريع الأندجينا والتجنّس ونحوهما من القضايا التي واجهت المجتمع الجزائري.

- رغم أنه كانت له قاعدة عريضة من الأتباع، وله صدى لدى الرأي العام الأهلي. إلا أنه كان يحسبُ على أهل المدن ومن المعزولين نسبياً.

- كانت حركته الإصلاحية معاصرة للشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني ورشيد رضا.وزعماء آخرين لحركة الجامعة الإسلامية في الشرق الأدنى.

- وواضح عليه التأثر بالفرنسية في التعبير والبحث، فهو ينتمي إلى مدرسة (المبشر) و(كوكب إفريقيا) حيث كان من رجال الدين مزدوجي اللغة.

والمميز في فكر الرجل أيضاً هو أن أعماله لم تخرج عن ميداني التراث، والقضايا الاجتماعية الراهنة، بالإضافة إلى ميدان آخر لم يكن بقوة الميدانين السابقين وهو الصحافة العربية. كما أن الاتجاه العام الذي سار عليه المجاوي هو اتجاه الولاء لفرنسا في الظاهر على الأقل فهو لم يدعوا إلى حركة معارضة ولم يتزعم حزباً سياسياً انفصالياً، إنما لجأ إلى الدعوة إلى العلم والمعرفة واليقظة وتقليد الأوروبيين وعلاج الأمراض الاجتماعية، كل ذلك في نطاق النظام القائم مع التركيز على الخصائص المميزة للشعب الجزائري من الوجهة الحضارية، بالرغم من أن الظروف قد جعلته تحت الحكم الفرنسي، ومن الذين شاركوه في هذه

الخصائص في عصره: تلميذه ابن الموهوب،وابن سماية، ومصطفى خوجة، وابن رحال...

الخاتمة:

من خلال هذه النظرة العامة في حياة المجاوي ومؤلفاته وشهادات المعاصرين والمهتمين بفكره ومنهجه نستشف محاور اهتمامه في التأليف خاصة، وهي محاور فكرية طبعت بالطابع المدرسي تسهيلاً للمسائل على تلاميذه وتقريبًا لها واختصاراً لها، وضبطاً للمعلومات التي كان الحفظ يلعب دوراً رئيسياً في استبقائها وتذكرها والاستفادة منها. ويبدو أن أثر المجاوي في الناس على مختلف المستويات يرجع إلى نشاطه الفكري والاجتماعي بينهم بالدرجة الأولى، مدرساً ومناقشاً ومحاضراً وخطيباً قبل أن يرجع لما ألّف من كتب، وهي حقيقة تصدق على كثيرين غيره من بينهم: عبد الحميد بن باديس الذي شغله كما قال صادقاً تأليف الرجال عن تأليف الكتب (**هلال(ع)، 1995م: ص178**).

قائمة المراجع المعتمدة:

الكتب:

1. الإبراهيمي(أ)، **1997**م: آثار محمّد البشير الإبراهيمي، ج**1**، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
2. الحفناوي(أ)، **1985**م:، تعريف الخلف برجال السلف،ج**2**، ط**2**، بيروت، مؤسسة الرسالة.
3. الخضر (ح). **2010**م: موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين. ج **11**، بيروت، دار النوادر.
4. دبوز(م)، **1976**م: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج**1**، الجزائر: مطبعة دار البعث.
5. دبوز(م)، **2007**م: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج**1**، الجزائر: الطباعة الشعبية للجيش.
6. سركيس، (ب.ت): معجم المطبوعات العربية، ج**2**
7. سعد الله(أ)، **1990**م، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر.ج**2**،ط**2**، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
8. سعد الله(أ)، **2008**م، الحركة الوطنية الجزائرية، ج**2**، الجزائر، دار البصائر،
9. سعد الله(أ)، **2008**م: تاريخ الجزائر الثقافي، ج**4**. الجزائر، دار البصائر.
10. صاري(أ). **2004**م: شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر. غرداية، المطبعة العربية.

11. صاري(ص). **2007**: بروز النخبة المثقفة الجزائرية (**1850- 1950**)، الجزائر، م.و.ن.ت.
12. الصديق(م)، **2008**م: أعلام المغرب العربي، ج**1**، ط**2**، الجزائر: دار موفم للنشر.
13. طالبي (ع)، **1997**م: ابن باديس حياته وآثاره، ج**1**، الجزائر، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع.
14. بوعزيز (ي)، **1995**م: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،ج**1**، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
15. أبو عمران (ش) وآخرون، **1995**م: معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر.
16. العنتري (م)، **1974**م: تاريخ بايات قسنطينة. الجزائر، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع.
17. بن قينة (ع): **1983**م: شخصيات جزائرية، الجزائر: دار البعث.
18. بن قينة (ع): **1993**م: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، الجزائر: د، م، ج.
19. الكتاني(ع)، **1347**هـ: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المشيخات والمسلسلات، ج**1**، فاس، المطبعة الجديدة..
20. كحّول (م)، **1911**م: التقويم الجزائري، الجزائر، مطبعة فونتانة الشرقية.
21. المجاوي(ع)، **1907**م: نزهة الطرف في المعاني والصرف، الجزائر، مطبعة فونتانة الشرقية.
22. المجاوي(ع)، **1912**م: اللمع في محاربة البدع، الجزائر، مطبعة فونتانة.
23. المجاوي(ع)، **1939**م: الإفادة لمن يطلب الاستفادة، الجزائر: مطبعة فونتانة.
24. المجاوي(ع)، **2011**م: الدُّررُ النَّحوية على المنظومة الشَّبراويَّة، الجزائر، دار زمورة.
25. المجاوي(ع)، **2011**م: القواعد الكلامية، الجزائر، الجزائر، دار زمورة.
26. المجاوي(ع)، **2011**م: الإفادة لمن يطلب الاستفادة تح. عبد الرحمن حمادو الكُتُبي، الجزائر، دار ابن حزم.
27. المجاوي(ع)، **2012**م: إرشاد المتعلمين، الجزائر، دار ابن حزم.
28. مرتاض(م)، **2004**م: من أعلام تلمسان، مقاربة تاريخية فنية. وهران، . دار الغرب للنشر والتوزيع.
29. نويهض (ع)، **1980**م: معجم أعلام الجزائر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية.
30. هلال(ع)، **1995**م: العلماء الجزائريين في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين **3**هـ- **14**هـ، الجزائر: د.م.ج.

المقالات:

31. سعد الله(أ)، **1984**م: مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي"، الثقافة، وزارة الثقافة، ع**79**، الجزائر.
32. بن أبي شنب(س). **1968**م: النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري. مجلة كلية الآداب، جامعة الجزائر، ع**1**.
33. الشهاب. مارس **1932**م: الجزائرج**3**، مج**8**، _ ص.ص(**147**- **212**).
34. الفاروق،**9** أكتوبر **1914**م: ع**81**، الجزائر.
35. كريستلو(أ).أوت- نوفمبر **1978**م: حول بداية النهضة الجزائرية.كتيب لعبد القادر المجاوي. الثقافة، وزارة الثقافة، الجزائر، ع**46**.
36. بوكوشة (ح)، أوت- سبتمبر **1972**: شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي. الثقافة، وزارة الثقافة ع**10**.
37. كوكب إفريقيا" **3**جانفي**1908**م: ع**31**، الجزائر.
38. كوكب إفريقيا **11**ديسمبر**1908**م:ع**84**، الجزائر.
39. كوكب إفريقيا **25** ديسمبر**1906**م: ع**86**، الجزائر.
40. كوكب إفريقيا **12** مارس**1909**م: ع**97**، الجزائر.
41. كوكب إفريقيا **12**نوفمبر**1909**م): ع**132**، الجزائر.
42. المبشر، **8/12/1877**م: ع **142**، الجزائر.
43. المغرب، **10** أفريل **1903**م: ع**1**، الجزائر.
44. المغرب، **13** أفريل **1903**م: ع**2**، الجزائر.
45. المغرب، **17** أفريل **1903**م: ع**3**، الجزائر.
46. المغرب، **21** أفريل **1903**م: ع**4**، الجزائر.
47. المغرب، **24** أفريل **1903**م: ع**5**، الجزائر.
48. المغرب، **28** أفريل **1903**م: ع**6**، الجزائر.
49. المغرب، **5**ماي**1903**م: ع**8**، الجزائر.
50. المغرب، **19** ماي **1903**م: ع**12**، الجزائر.
51. المغرب، **8**ماي **1903**م: ع**9**، الجزائر.
52. المغرب، **5**جوان **190**م: ع**17**، الجزائر.
53. المغرب، **12**جوان**1903**م: ع**19**، الجزائر.
54. المغرب، **24** جويلية **1903**م: ع**31**، الجزائر.